

مذكرات منزلة في فصل الشتاء

قصة بقلم ج. علاوة وهبي

الساعة توففت عن الدوران . انيارات مساكننا . لماذا
انزلق الحي ؟ لماذا جاء الحزن الي حيننا ؟

حديث المغارة رقم اثنين :

الانهيج والشوارع الصغيرة والكبيرة تنقياً السيارات
الضخمة . الازدحام شديد . الدنيا جنون . مررت
بالسوق المركزية . ناجاني جمع غفير أمام مدخل المغارة
التي كانت تنضح الموز . فكرت في الحديث مع سكان
المغارة الجدد ، ان اشعر بحزنهم . ومن حقي التحدث
معهم . انتسابتني قشعريرة . هزت جسدي . عندما
تذكرت انني اسكن قريبا من حيهم . هذه المغارات كانت
خاصة بانضاج الموز . الآن يسكنها بشر . أشعلت
سيجارة أخذت منها نفسا ثم ألقيت بها جانبا . انني
أكره التدخين .

- الدنيا برد .
- نحن في الشتاء .
- هذه المغارة تشبه مقبرة .
- هناك أناس يدفنون أحياء .
- ماذا يمكننا نحن عمله ؟
- أحمد ربك لانك وجدت مغارة تؤويك .
- أصبحنا عرضة للأمراض .
- فالك في أسنانك .

مررت امام باب السوق ، وجدت قطعة من الطباشير
ملقاة على الارض ، لا شك انها سقطت من محفظة طفل
منكوب . أخذتها وكتبت بها على باب السوق : « أريد
ان أقول أشياء كثيرة .. أريد .. د ان أقول انسي ..
ل .. س .. ت .. أدري ماذا كان يدور في رأسي
من أفكار .. باختصار : أنا أبكي الآن حينك المنكوب » .
وعلى جدار السوق كتبت : « أريد ان أبني منزلا جديدا
لكل منكوب .. ولكن هل هذا ممكن ؟ انني في بداية
الطريق .. » . عندما سقطت قطعة الطباشير من بين
أناقلي أدركت انني ما زلت فقيرا .. لذلك لن أقدر على
بناء منازل جديدة للمنكوبين .. المال هجرني ، ولكن متى

الام يعصر نفوسهم ، وهم على الرصيف مع اثاث
منازلهم لا يتحركون . الدنيا برد . الحي انزلق والمنازل
بعضها انهار . رجال الوقاية المدنية يتحركون .
يساعدون المنكوبين في نقل اثاثهم الي « الكمان » التي
تنقلهم بدورها الي المغارات التي أعدت لايوائهم . كل
شيء يوحى بالخوف والذعر . القسم الشمالي من المدينة
كله مهدد . القلق يسيطر على الجميع . أرصفة الشوارع
أصبحت وكأنها سوق . الاطفال الصغار موزعون هنا
وهناك يقفزون .. انهم غير شاعرين بالخطر . كل شيء
حزين حتى الارصفة حزينة . وجوه الكبار عابسة .
النساء مقرصات ، كل واحدة جنب اثاث منزلها ، في
صمت ودون حراك . كل واحدة بداخلها مجموعة من
شرارات نارية تكاد تقطع الاحشاء . القلوب حزينة .
وكل شيء يوحى بأن أمرا غريبا سوف يحدث . المغارات
الكائنة بالمدينة أصبحت مساكن للمنكوبين . حتى القمر
أبى أن يهمل هذا المساء وكأنه أخذ يفظ في نوم عميق
او كأنه حزن لحزن المنكوبين .

حديث المغارة رقم واحد :

قسم المنكوبون المغارة بينهم باللاحف ، وضع كل
واحد اثاثه في ركن ، وخيم الصمت . قامت العجوز من
مكانها واتجهت نحو مدخل المغارة . تبعها الكلب وهو
ينبح . اقتربت من فوهة المغارة ، أرادت أن تقول
شيئا ، توقفت الكلمات في حلقها . جدار من الحزن حال
دونها والكلمات . وقفت منتصبه في مدخل المغارة ،
رفعت وجهها نحو السماء ، رات نجمة واحدة في الفضاء
تحيط بها السحب . حزنت العجوز .. شعرت بأنها
منكوبة .

تطبيق :

السحب تغلف السماء . اختفت النجمة الوحيدة .
الصمت يخيم على المغارة . كل شيء ساكن ، حتى

علمي وأنا أخفيه عنكم . هذا شيء ممكن . بالعكس ، أنا أجهل الجاهلين بالامر ، لست مسؤولاً عما وقع ، أنكم يا سكاني مشتتون في المغارات والمرايب . والمحظوظ منكم سكن في « كاراج » . صرتم تكهونني ، وتكهون حياتكم .. ولكن لو تعلمون أنني مظلوم مثلكم ، أشقى حي في هذه المدينة ، ويبسولي والله أعلم مني ، أن المعرفة بالاسباب شقاء دائم ، كما حدثني بذلك جاري المهدد بمثل ما وقع لي أنا الحي القديم الجديد في هذه المدينة .

تعليق منزلق :

اشياء غريبة ، وحوادث مؤلمة شاهدتها : « انزلاق في انهيار » وانهيار في انزلاق ، في زلزال ، مساكن في انهيار ، وانهيار في المساكن ، في المحلات ، في .. وبقي الانهيار منتصرا ، وتم الترحيل واسكان المنكوبين في المغارات . تمنيت لو كان بي امكانيات ابقاء المساكن قائمة ، وبقاء السكان فيها لعلت . ولكن فقدت صوت الاطفال وصراخهم والعايبهم . أصبحت وحيدا .

حديث التراب :

آه .. وأنا مسكين .. تراب في باطني ماء . وأنتم تعرفون يا أحبائي انه لا يمكنني الصمود في وجه الماء . ولذلك عندما غمرني تفتتت وأخلت له السبيل ، لاني أضعف الضعفاء ، واليكم ، اليكم يا أحبائي أوجه حديثي ، واليكم أوجه هذا النداء .

اليكم يا أحبائي : الى كل من بنى مسكنا فوقسى ، عزائي . وليس لي أكثر من العزاء والدموع : ولكنني لن أبكي . لاني لو بكيت لأضفت كمية جديدة من المياه ، وبذلك يزيد الخطر . يا أحبائي أنا لن أموت لاني موضوع حديث الكثير غيركم ، ولن أفنى لاني تراب ، والتراب لا يفنى ، وأخبركم بأن مساكنكم ما زالت تنهار ، وينتظر انهيارها جميعا . هكذا تقول تقارير المهندسين ، وتقول أيضا بأنني غير صالح تماما للبناء ، ولكن أنا لم أكن أعرف ذلك والا لكنت حذرتكم من قبل .

آه ..

يا أحبائي هل تصدقون قولي ؟

كان عندي مال ؟ ابتعدت عن المكان ، يعترضني الألم ، ويرودني الامل في العودة اليه من جديد ، وقد ملكت امكانيات انقاذ أناس دفنهم أحياء . شعرت بالمفص ، فانزويت في ركن وتقيأت .

حديث الحي المنكوب :

منذ أربع سنوات ، أخبر سكاني بما سيحدث لي ، ولكن لا أحد منهم انتقل ، لانه لم يتمكن من الحصول على مسكن جديد . ومنذ أربع سنوات ، وأنا أحاول الاحتفاظ بصحتي ، ولكن الهزة الاخيرة أوقعتني ولم أتمالك . مددت يدي لاصافح السكان ، ولكن يدي بقيت تجول في الهواء دون أن تظفر بلمسة واحدة . وبقيت أدور وأنزلق ، وكل مرة تنهار دار ، وأنا أدور من واحد الى واحدة ، أدور من واحدة الى واحد ، لم أظفر بلمسة ولا بمصافحة ، لم ينتبه الي أحد ، الكل يبكي حظه ويسب ويلعن انزلاقي ، ولكن ما حيلتي وما ذنبي ؟ أنا ضحية ومظلوم مثل سكاني تماما ، وعندما لم ينتبه الي أحد من سكاني ، أحسست بأنني متسول اطلب بضع سنتيمات .

– منكوب ؟

– مانيش منكوب ، وماكاش أنت اللي تقرر .

– أعلاش ..

– هكذا واش تبغي ؟

وتمضي الساعات . من المنكوب ؟ طعنا لست أنا ، انما هم . ولكن أنا ماذا ؟ مهجور صحيح ، ابتداء من هذه الدقائق كل المنازل المبنية فوق ترابي ستهدم . قال المسؤولون انها لم تعد صالحة للسكن بعد الآن ولا يفهم الخطر الا مدركه . وأنا المدرك فهمت . ذلك لاني الحي الذي هجره سكانه ، وأنا رب هذه المساكن ، سيدها الحقيقي . دعك أنت من المشكلة . أنا تعبت من ثقل هذه البنائيات ، أردت أن أقوم بحركة فاذا بها تنقلب انزلاق . اسمعوني : لقد وقسع بي انزلاق ، انهارت مساكني ، لست القاتل ولكن كل شيء مقدر .

– متى تاتون على تهديم كل المساكن ؟

– لذلك يوم معلوم يا أبناي – الله – وهل أدري

أنا متى يكون ذلك ؟

– أنا يا ناس لا أعرف متى تبسسى لكم مساكن

جديدة ، ذلك من علم الغيب ، ومن المحتمل أن يكون في